

سياحة المتقين

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان
دار طويق للنشر والتوزيع

الموقع الرسمي للشيخ أحمد الطويان
www.attwayan.com

المقدمة

أولئك الذين قاموا إذ الناس نيام، فصفوا
الأقدام وسكبوا العبرات، يدعون ربهم خوفاً
وطمعاً.

أولئك الذين تحروا يوماً شديداً حره فعبدوا الله
فيه بالصيام، يرجون سقيا من الحوض في يوم
النشور أولئك الذين آتاهم الله من نعمه وفضله،
فلم تطغهم النعمة ولم تنسهم إخوانا لهم مسهم
ضراً الحاجة فامتدت إليهم أيدي الإحسان شعارها
«حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ .. اللهم اجعلنا من
المتقين. آمين.

المؤلف

ماذا نفقد؟

عند الظمأ يستعذب الماء البارد النمير وفي شدة الحر يستطاب الظل والجو العليل من وهج الهجير وفي حندس الظلام ودياجير الليل يتطلع إلى فجر يبدد ظلمة الكون. وحين تشتد هواجر النفوس تتعطش القلوب لما يشفي غليلها ويطفىئ حرارة سعيها.

فلا المال ولا الجاه ولا السلطان ولا الترف ولا جاه الدنيا تجدي شيئاً، لا جمال الطبيعة ولا أنس المجالس ولا كثرة الأرصدة ولا جمع الأموال بل تشقى نفوس بذلك وتذل وتهان، وحين تشقى النفوس يشتد حنينها إلى ما يخرجها من واقعها وتتطلع إلى العلاج الناجح والبلسم الشافي، فلا الجوع فقد الطعام ولا العطش فقد الشراب ولا

الحرارة شدة الصيف ولفحات الشمس الحارقة
ولا القفر إجداب الأرض وبيسها، فتلك مناظر
تتكرر وتتغير وتمر على المسلم والكافر والبر
والفاجر، إنما القفر إجداب القلوب من الإيمان،
والحرارة حرارة المعاصي والسيئات.

فذلك الشقاء الذي لا يزول إلا ببرد الإيمان
وحلاوته وأنس اليقين، ذلك نعيم القلوب وربيعها
ولو عاشت في أعالي الجبال ومهاوي الوديان
ولبست الصوف وافترشت الأرض والتحففت
السماء وتكبدت شغف العيش وقلة المؤونة.



واقع مرير

إن الأمة اليوم تعيش في شدة الهجير وحرارة
البعء عن الله .. أشد مما تعانیه من شدة حر
الصيف.

وإن من العجب أن يبحث كثير من الناس عن
الأنس بما يبعدة عن الله وينسيه ذكر الله والصلاة
فهذه حياة الغافلين الذين يجدون أنسهم وسعادتهم
الشكلية بما يغضب الله.

وكتب الله لهؤلاء وأمثالهم أنهم وإن وجدوا في
سويغات قليلة أنساً وسعادة ظاهرية إلا أن ذلك
إلى زوال وأنهم ينسجون شقاءهم بأيديهم، ﴿ وَمَنْ
أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١).

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.

٧

المتعة الحقيقية



أصحاب القلوب الحية

ومن هنا يتميز أهل الإيمان بالحياة الطيبة ولو كان في ظاهرها تعب ونكد وكبد إلا أن قلوبهم مطمئنة بالإيمان، وجوارحهم تسعى في مرضاة الرب الديان.

لا يجدون في شدة الحر إلا تذكيراً بجهنم التي أذن لها بنفسين نفس في الصيف ونفس في الشتاء كما نطق بذلك النبي المعصوم - عليه الصلاة والسلام - قلوب المتقين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون فإذا اشتد حر الظهيرة تذكروا أنه وقت تسجر فيه جهنم فاستعاذوا وعملوا، وكان بعض السلف إذا رجع من الجمعة في حر الظهيرة يذكر انصراف الناس من موقف الحساب إلى الجنة أو النار فإن الساعة تقوم يوم الجمعة ولا ينتصف ذلك النهار حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل

النار في النار.

قاله ابن مسعود - رضي الله عنه - وتلا: ﴿
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿١٦﴾
 ﴿١﴾ . يتذكرون في اشتداد الحر حر الموقف حين
 تدنو الشمس من الخلائق قدر ميل .. فيتجنبون
 أعمال أهل النار.

نسيت نظي عند ارتكابك للهوى
 وأنت توقي حر شمس
 الهواجر
 كأنك لم تدفن حميماً ولم تكن
 له في سياق الموت يوماً
 بحاضر

تلك القلوب الحية التي تنظر إلى الدنيا بعين
 التزود والاعتاظ والارتحال، فلم تنغمس في لذة أو
 غفلة وما أنعم الله عليهم من النعم إلا استعملوه
 بما يقطعون به الطريق إلى الله والدار الآخرة

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٤.

واتخذوا تلك النعم سفناً للآخرة.

يجدون الأنس واللذة والمتعة والطمأنينة والسعادة والراحة في طاعة الله، قلوبهم عامرة بالذكر والدعاء والاستغفار وصالح الأعمال، لم يغفلوا مع الغافلين ولم يشغلهم التراب والطين، لم ينظروا للدنيا إلا على أنها دار العمل والتزود، ولم ينظروا فيها إلا أنهم في امتحان واختبار، يرجون رحمة العلي الغفار، ويحتسبون ما يصيبهم من كبد الدنيا ولأوائها ومحنها أنه تكفير للسيئات ورفعة في الدرجات، وأن ما يصيبهم من الدنيا من الكبد لا يساوي شيئاً من عقوبة الله في الآخرة، وما يرجونه من النعيم والثواب يخفف عنهم ما يمر بهم في الحياة، كما ورد في الحديث يؤتى بأبأس أهل الجنة في الدنيا فيغمس في الجنة غمسة فيقال هل مر بك بؤس قط هل مر بك فاقة قط فيقول

لا، تلك والله هي الحياة الطيبة التي يعيشها أهل الإيمان في الدنيا قبل الآخرة، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

فالحياة الطيبة حياة القلوب ونعيمها وأنسها برها جل وعلا تصيبهم المصائب والمحن والنكبات فيعلمون أنها بقضاء الله وقدره فيرضون ويسلمون فيهدي الله قلوبهم هداية الرضا والتسليم والقبول، ينظرون إلى قضاء الله وقدره نظر العبد المؤمن الصابر المحتسب فينقلبون بنعمة من الله وفضل وإحسان.

عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له.

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

نعيم في السراء والضراء والمحنة يتهمون أنفسهم بالنقص وأن ما يصيبهم إنما هو بسببهم، يحسون بالتقصير في حق ربهم ومولاهم. ومهما عملوا يخافون أن ترد أعمالهم، ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾^(١)، تلك هي حياة الصادقين لا حياة العابثين الذين يسعون لمتعة الجسد واللذة العابرة يشبعون رغبات شهواتهم كأنهم للدنيا خلقوا فينقلبون فيها تقلب الأنعام والبهائم يطربهم نغمها وفسقها ومجونها، يتمتعون بالشهوات والملذات، تحركهم الشهوات وتجمعهم الغفلات والحفلات متناسين الجمع والجماعات.

ظلمات بعضها فوق بعض، ترف وبذخ وسرف أسكرتهم المادة شربوا من الغفلة حتى ثملوا

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

فلا يرون متعة ولا أنساً إلا بالمعاصي والسيئات،
 يرون الحياة سمرّاً وصخباً، نوماً وسهراً، ليس في
 قاموسهم غذاء للروح وإنما متعة الجسد فجاعت
 النفوس وعطشت، مع أن البطون قد ملئت،
 وشقيت النفوس مع أن الأجسام قد أترفت
 واستوحشت النفوس مع أن المجالس بالغفلات قد
 عُمرت.

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴾ (١).

إن الأمة العابثة بأوقاتها ومقدراتها أمة تحطمت
 على أيدي هؤلاء الماديين والغافلين، فما أحوجنا
 إلى الأنس بطاعة الله ما أحوجنا لسياحة المتقين
 وبرد اليقين وحلاوة الإيمان، ما أحوجنا إلى أن
 نسعى إلى نور الله إلى فسحة القلب وسرور
 الطاعة وبهجة العبادة وسعادة النفوس.

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

فكما نسعى لمتعة الجسد لنسعى لمتعة القلب الحقيقية وكما نبحث عن الأجواء المعتدلة لنبحث عن الأجواء الروحانية بالذكر والقرآن والموعظة الحسنة، فكما نهرب بأجسامنا من لهيب الصيف ووهج الشمس لنكن أبعد الناس عن لهيب المعصية وحرارة الذنوب، ولنغسل ذلك بماء التوبة والإنابة، ولنطفئ تلك النيران المحرقة للقلوب والنفوس بلذة الطاعة وأنس العبادة. مع فرح بطاعة الله وتلذذ بما أباح الله واستعمال نعم الله فيما يقرب إلى الله ويجدد العزم والنشاط في الطاعة وسبيل الخير.

